من زاوية تربوية
لماذا نعقد العلم؟!

إعداد
أ.د/ خالد محمود محمد عرفان
عميد كلية التربية (بنين) جامعة الأزهر بالقاهرة

من زاوية تربوية

لماذا نعقد العلم؟!

سؤال تعجبي؛ فالعلم هدفه فهم الظواهر وتفسيرها والتنبؤ بها بل وضبطها أيضا، وأني يحقق العلم ذلك وهو معقد صعب التعلم ، يجعل الدارسين يعانون في فهمه ، ويتوهون في دروبه ، وتتداخل عندهم المفاهيم والمصطلحات، ويصبح حفظ العلم وليس تطبيق العلم في الحياة على الظواهر المختلفة هو الغاية، واضحى الطالب مزدحما بالمواد والمعلومات التي لا يفهم منها إلا القليل ولا يطبق منها سوى الأقل.

فلا تطبيق لعلم دون فهم ولا فهم للعلم بدون تبسيط، والعجيب أننا نرى المتخصصين يتبارون ويتسابقون في سبيل تعقيد العلوم التي تخصصوا فيها ، ويصعبونها على الدارسين رغم بساطة العلم وارتباطه بالحياة، بل ويتفاخرون بتصعيب محاضراتهم وكتبهم وامتحاناتهم لأنها جاءت صعبة ومعقدة ، ولم يفهمها إلا القليل من الدارسين، ونسوا أو تناسوا أن الهدف الرئيس للمعلم هو تبسيط العلم للدارسين فيوضح الغامض ، ويسهل الصعب، ويقدم الحلول، ويبدع المعلم في النماذج والتطبيقات، ويحفز الدارسين ، ويحببهم في مادته العلمية مهما كان نوعها.

والدارسون يلهثون وراء المعلم الذي يبسط لهم المعقد، ويوضح لهم الغامض، ويأخذ بأيديهم في تدرج تعليمي يتناسب مع العلم وطبيعته؛ والتفكير وآلياته، والتطبيق ومتطلباته؛ فذلك يجعلهم أعمق فهما ، وأكثر وعيا بمفاهيم العلم وتطبيقاته، ويصبح هذا المعلم نابغة عصره ، رغم أنه لم يفعل في الحقيقة شيئا جديدا وإنما فقط فهم العلم وطبيعته وفلسفته والغاية من تعلمه؛ فبسطه وقدمه مستساغا للدارسين.

ولقد ضرب لنا المعلم الأعظم – صلى الله عليه وسلم- المثال في مجال تبسيط العلم وتقديمه سهلا غضا لينا للمتعلمين، ومن ثم أصبحوا أكثر فهما واستيعابا وتطبيقا ونقلا لهذا العلم؛ فهاهو يرد على الأعرابي الذي أراد الدين في أبسط صورة يستطيع أن يفهما ويطبقها في حياته، ولا يحتاج إلى الاستفهام عنها من أحد ؛ فعن عمرو سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قال : ، قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك ، قال : " قل آمنت بالله ثم استقم" (رواه مسلم في صحيحه).

فما أروع الاختصار، وما أجمل التبسيط، وما أدق التطبيق؛ ولكن نظرا لتراكم العلم الراجع إلى الدراسة والبحث في قضاياه المختلفة تشعب كل علم من العلوم، وازدادت العلوم تعقيدا رغم بساطتها، مما صعب على الدارسين استيعابها ، وأثر ذلك على فهم الطالب للعلم

وتطبيقه، وانفصل العلم عن قضاياه لدى الدارسين بل والمتخصصين، وأصبحنا ببغاوات تردد ما تسمع وما تحفظ دن فهم .

وبعد أن ينتهي الطالب من التعليم ويخرج إلى سوق العمل يكتشف الكارثة؛ أن كل ما تعلمه أو جل ما تعلمه وقضى فيه الليالي الطوال ليس له علاقة بالواقع ، ولا يطبقه في الحياة ؛ بل لا يطبقه في مجال عمله المتخصص فيه؛ ويسأل متعجبا: لماذا درست كل هذه العلوم ، وهذا الكم الهائل من المعلومات؟!

وهذا كله يتحمل مسئوليته واضعوا المناهج، الذي طبقوا قاعدة ذكرها أحد التربويين البارزين في مصر الأستاذ الدكتور / أحمد المهدي- رحمه الله- ؛ وهي قاعدة" حش وارمي له" وهي يقصد بها جمع المعلومات وحشو أذهان الطلاب بها دون وعي وفهم وتوظيف لها في الحياة.

إن العلم لا قيمة له إذ لم يطبق ولا سبيل للتطبيق سوى الفهم والتحليل والنقد والإبداع، ولا سبيل لكل ما سبق بدون انتقاء المعلومات ، وتبسيط العلم حتى يكون مستساغا للدارسين، مع اختيارما يرتبط منه بالحياة، وتشجيع الطالب على ذلك من خلال التفكير ومساعدته على الوصول لحلول القضايا بسهولة ويسر، وعدم رفض أي حل يقدمه طالما كان صوابا مهما كان ساذجا.

ولتبسيط العلم عدة متطلبات أهمها؛ المعلم المتمكن من مادته العلمية ، المدرك لبنية العلم التي تبدأ من الحقائق وتنتهي بالنظريات مرورا بالمفاهيم العلمية بمستوياتها المختلفة والقوانين العلمية، مع ربط ذلك كله بالقضايا التي يعنى العلم بتناولها ودراستها، ومدى ارتباط ذلك بالحياة.

إن تبسيط العلم يحتاج إلى مناهج مطورة منتقاة المحتوى وفق معايير علمية تركز على الكيف لا الكم، وعلى المهم المستحدث لا القديم المتروك، وعلى ما له ارتباط بمتطلبات سوق العمل، واحتياجات الدارسين المعرفية والمهارية والوجدانية في عصر الكفايات.

ومما لا شك فيه أن استخدام التقنيات يساعد بشكل كبير في تحقيق ما سبق؛ إذا وظفت بطريقة علمية تساعد على اكتساب العلم وتكوين صور ذهنية صحيحة للحقائق والمفاهيم العلمية مما يجعل الطالب أكثر استيعابا لها، وأكثر إدراكا لأبعادها وتبطبيقاتها في الحياة؛ فكما يقولون "صورة تغني عن ألف كلمة".

كذلك يلعب الوالدان دورا مهما في تبسيط العلم من خلال مناقشة الأبناء فيما يتعلمونه وعلاقة ذلك بالبيئة التي يعيشون فيها ، وما يدور حولهم من أحداث .

إن تبسيط العلم يشارك فيه العديد من الأطراف بدءا من واضعي المناهج انتهاء بوسائل الإعلام، مرورا بالأسرة والمدرسة والمسجد والأندية وكل المؤسسات المجتمعية التي تساهم بشكل أو بآخر في تنفيذ المنهج المدرسي.

إن تبسيط العلوم في ضوء ما سبق وباختصار هو السهل الممتنع، فبقدر سهولته وإمكانية الوصول إليه بقدر صعوبة تنفيذه.

وفي نهاية مقالتي أهمس في أذن المعلم قائلا : من فضلك لا تصعب العلم على أبنائك، وازرع في داخلهم أن المادة سهلة، ولا يوجد أي صعوبة فيها، وابدأ معهم بالسهل وتدرج معهم في المفاهيم العلمية حتى ينتقل معك الطالب بسهولة ويسر دون صعوبة مدركا أبعاد المفهوم وصورته الذهنية مع تطبيقات متنوعة لها، حينها سيتعلم التلميذ أي علم من العلوم مهما كان صعبا لأنه أقبل عليه من البداية ولديه صورة ذهنية عن المادة بانها سهلة ومبسطة، فكما يقولون " المادة أستاذ" فكم من المواد الدراسية التي أحببناها بسبب المعلم وكم من مادة كرهناها بسبب المعلم أيضا، فلا يوجد علم صعب ولا علم سهل ، وإنما هناك معلم فاهم وقادر على الافهام، فرجاء لا تعقدوا العلم، وخذوا من المعلم الأعظم- صلى الله عليه وسلم- نموذجا يحتذى.

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة